

.. وأخرى

«ذاكرة الضوء» المعرض المنفرد السادس عشر للفنان التشكيلي فؤاد جوهر، يشغل حالياً الجدران المعتقة لكاليري «زمان» في شارع الحمرا في بيروت. يركز الفنان جوهر على التراث اللبناني ومعالمه التي تكاد تنقرض وسط هجمة الحداثة والمدنية، وتزاحم العديد والعدة لحياة ما بعد الطبيعة. حيث يحاكي الطبيعة اللبنانية بموروثها التاريخي الأصيل، فيبرز العمار القديم بحجره الصخري وتقطيعاته الغائرة، تعانقه القناطر الشاهقة مكللة للنوافذ الواسعة المدى، تناجي الضوء والحياة، وتزاحمه الطبيعة الغناء مهاجمة الحجر والبشر، على نقيض ما نعيشه اليوم من مزاحمة الحجر للحجر وللشجر. يجسد الفنان في لوحاته كثيراً من المواقع والمناطق اللبنانية المنسية، تتباين بين الجبل والقرية والمدينة، ويعتبر البحر محوراً أساسياً في لوحاته، تحديداً في جزئه المتاخم للشاطئ الصيدائي، حيث تتراصف عليه مراكب الصيد بألوانها المتماوجة على سطح المياه، يغازلها نبض الحياة المترامي من جغرافيا المكان في الخلف. فجوهر صيدائي الهوى والهوية، تتراقص في ذاكرته معالم المدينة القديمة بتاريخها العريق، ويبحث ساعياً عن كل ما يخلد هذا التاريخ ويحافظ على خصوصية هذه المدينة. وهنا نجد هذا البعد بين نقاوة اللون في اللوحة، ومأساوية التلوث للبحر والبيئة في الواقع، حيث يقول جوهر لـ «أوان»: «وظيفتنا أن نقدم للناس ثقافة بصرية، تجعل نظرتهم للأشياء أكثر تفأولاً». وجوهر عضو في «جمعية صيدا للتراث والبيئة» وهو على صراع مستمر مع السلطات المحلية والبلدية من أجل الحفاظ على التراث القديم، إن كان في فن العمارة والأسواق القديمة أو في خصوصية العلاقة بين صيدا والبحر، فصيدا موجودة لوجود البحر. نجد من خلال اللوحات انتماءً عميقاً والتزاماً بالمدرسة الانطباعية المقروءة بسهولة، حيث اللغة البصرية ومفرداتها واضحة وعفوية وغنية باللون، فهو يستخدم كمّاً هائلاً من الألوان النقية غير الممزوجة «وهذه إحدى سمات الانطباعيين»، مجسداً المكان بنقاوته وجماليته المفروضة، مؤكداً على المساحة البيضاء للورقة الأساسية التي رسم عليها المنظر، والتي غالباً ما يستفاد منها في تجسيد البحر والسماء باللون الأبيض المحاكي للأزرق المغيب أصلاً، وتوزيع لوني متأثر بالضوء وانعكاساته على ماهية الأشياء بأشكالها وألوانها، فالفنان يركز في معرضه على الشمس وضوئها الغني الساطع وانعكاساته على الطبيعة، مولداً ألواناً رائعة يتغير قوامها بين لحظة وأخرى. فنرى شجرة الزيتون المعمرة المتأخية مع تراث الجنوب اللبناني، تعكس عطاءها وجمالها، وتلقي بألوان وظلال متباينة على الأرض في أوقات مختلفة من اليوم والسنة. ويبرز في بعض لوحاته الخط العريض المحدد لهيكلية الموضوع، مع كثير من الرمادي والظل، وقليل من الألوان الأخرى. ويغيب اللون الأسود تماماً في لوحاته ويكثر لون «سبيبا» وهو لون مستخرج من حيوان بحري «الحبار». وفي لوحات عدة تبرز الألوان الفاقعة المليئة بالفرح من الأصفر إلى الأحمر والأخضر والأزرق، وهي ألوان فيها حياة وانعكاس للضوء. مقتصرأ في لوحاته عامة، وفي غالبية معارضه على استخدام التلوين المائي «الأكوارييل» الذي يخلو من اللون الأبيض فيفرض على

الرسام استخدام المساحة البيضاء للورقة.

بعد تحرير الجنوب العام 2000 سارع جوه مع كثيرين إلى اكتشاف المناطق الجنوبية المتميزة عن غيرها، وأسرت ذاكرته البصرية مناظر عدة جعلته يتردد مراراً إلى الجنوب، ليجسد تلك الخصوصية عبر لوحات تحاكي الواقع المرير بكثير من التحدي، مستنهضة الحياة مكان الموت، فترى حقولاً تتغنى بشقائق النعمان، وإشراقاً صباحية مزركشة بالألوان كضفائر فتاة جنوبية، وزهرة القندول الشائكة تشق الصخر متحدياً البوار بحياة تنبض إشعاعاً لونياً ينتهي مع أفول الربيع، كما يُكثر في معرضه من باقات الزهر الربيعية المعبقة بأريج الأرض. لقد عاش جوه الحرب بواقعها المرير وبنكساتها الشديدة، لكنه لم يتأثر بالوان الموت، وغالباً ما نشد الفرح والوان الحياة في لوحاته قائلاً: «لن أرسم إلا ألوان الفرح، كفى الشعب اللبناني حزناً، أريد أن أقدم له فرحاً». يبتعد جوه كلياً عن التجريد، كما يوصي تلامذته بالابتعاد عنه، حيث يعتبره تعقيداً وضبابية تعب المشاهد، وتناهى به عن الفكرة والمضمون والمتعة المرجوة من اللوحة. ويقول إنه يخاطب في فنه «كل فئات الشعب»، وأنه يتوخى أن يقرأ المثقف وغيره لوحاته ويحس بها، عدا عما آلت إليه «المدرسة التجريدية التي أصبحت عمل الذي لا عمل له». وكذلك يبتعد جوه عن «البورتريه» إلا في ما خص أحد الأصدقاء أو المقربين، كما ابتعد عن «الملتيميديا» واعتبره فن المهملات، فهو يعتقد أن اللوحة أهم استثمار مالي في العالم، بينما العمل التجهيزي (الملتيميديا) معقد في مكوناته ومظهره، ويأخذ مساحةً كبيرة، وغالباً ما ينتهي دوره بعد العرض في أحد المستودعات ليلتقي آجلاً المهملات.

تراجع الفن التشكيلي في لبنان كثيراً لأسباب عدة أهمها عدم وجود متحف للفن التشكيلي اللبناني، وهذا يعمم على كل المنطقة العربية، فلبنان بلد يتحدث بالحضارة والرقى، وبالجامعات ودور النشر والطباعة وبأنه «أبو الحرف»، ولا يملك متحفاً للفن، وينعدم دور وزارة الثقافة ووجودها في دعم الفن والمبدعين في واقعنا الفكري والثقافي، عدا عن أن ميزانية وزارة الثقافة لا تتجاوز 0.05 من الموازنة العامة للدولة، وهو رقم لا يُذكر ويعتبر نكسة على صعيد الإبداع اللبناني، وهذا ما يفسر هجرة الأدمغة وشح العطاء.

فؤاد جوه أستاذ في تقنيات التصوير في الجامعة اللبنانية وأستاذ «الموزاييك والفتراي» في جامعة الـ «ألبا»، اشترك في 100 معرض جماعي و16 فردياً، بالإضافة إلى معارض مشتركة في الكويت ضمن أسبوع الثقافة، وفي بنالي الشارقة، وفي البحرين ومسقط، والمملكة العربية السعودية وسورية. وكانت كلها تجسد النمط الانطباعي في الفن التشكيلي، وتعتمد على ألوان «الاكواريل» باستثناء معرض حروفي «يعتمد الخط العربي» أقامه في أوائل التسعينيات في مركز صيدا الثقافي، حيث استخدم فيه الألوان الزيتية. هذه المعارض كللت مسيرته منذ العام 1974 حتى اليوم، فهو يرى «أن العبرة في النوعية لا في الكم»، وهو لا يخطط لتنفيذ معرض أو لوحة، فقد يثيره موضوع بسيط يدفعه إلى البناء عليه لاحتضان لوحات في معرض، كما يترك العنان لنفسه في تحديد الزمن الذي قد يستهلكه في رسم اللوحة التي تأخذ عادة بين 12 و14 ساعة من العمل المتقطع بحسب انتفاضة الروح الإبداعية لديه.

تاريخ النشر : 19-10-2009